

واقع الشباب الجزائري في ظل التغيرات العميقة التي شهدها المجتمع

أ.رضا دغبار

أستاذ مكلف بالدروس

-جامعة الجزائر-

مقدمة

يعتبر الشباب من أهم فئات المجتمع وركيزة قوية من ركائزه، تبذل المجتمعات والشعوب مجهودات مضيئة للحفاظ عليه واستثماره في خدمة البلد وتوجيهه وجهة صحيحة تخدم سياستها العامة واستراتيجيتها الوطنية، غير أنها في كثير من الأحيان تصطدم ببعض المشاكل التي تتعلق بالشباب من جهة وبالظروف السوسيو اجتماعية من جهة أخرى.

وبما أن الشباب الجزائري قبل كل شيء يفرض وجوده بقوة في الفضاء الاجتماعي وهو كغيره من شباب العالم العربي والإسلامي، والشباب الغربي كان محورا جوهريا ركزت عليه الدولة سياستها وحاولت منذ الاستقلال الاستثمار في قدراته وطاقاته الخلاقة لبناء مجتمع عصري ومتقدم، غير أنها لم تستطع تحقيق ذلك لأسباب متعددة ومختلفة، بعضها يعود إلى ظروف اجتماعية وسياسية وثقافية... تمسّ بنية المجتمع الجزائري ككل، وبعضها يتعلق بالشباب ذاته -بالرغم أنه جزء لا يتجزأ من هذه البنية أو النسق العام- لما يتميز به من خصوصيات ومميزات لا نجدها لدى



الفئات العمرية الأخرى وحتى نفهم الشباب الجزائري علينا الوقوف على الخصوصيات التي ينفرد بها (الشباب) عامة دون غيره من فئات المجتمع الأخرى من جهة، ثم أخذ الشباب الجزائري في سياق الواقع الاجتماعي العام الذي شهد تغيرات وتطورات مستّ بنيته في العمق، فأثّرت تأثيرا عميقا في الشباب من جهة أخرى.

أولا : أزمة الشباب الجزائري بين الحقيقة الاجتماعية والتطلع إلى المستقبل:

1- تعريف مرحلتَي الشباب والمراهقة وخصائصهما:

كان الشباب ولا يزال وسيظلّ من الموضوعات الحسّاسة والهامة التي خاض فيها ولا يزال يخوض فيها الباحثون من علماء النفس والتربية وعلماء الاجتماع بحثا متواصلة ومضنية لكشف أسرار مرحلة الشباب وخصائصها ويعدّ مفهوم الشباب من المفاهيم السهلة الممتنعة، فظاهره يشير ببساطة إلى هذه المرحلة من العمر التي تتوسّط مرحلة الطفولة ومرحلة الكبر، بينما باطنه يشير إلى مفاهيم أعمق من ذلك بكثير، ولذلك كثيرا ما نقع في لبسٍ وإبهام ونحن نعرّف الشباب، ولكي نفهم جيّدا هذه المرحلة الهامة من العمر ونقف عند خصائصها علينا التّطرق إلى بعض تعريفات وآراء المختصّين في هذا الميدان.

إنّ الشباب عند ابن منظور هو: "الفتاء والحداثة، شبّ شبابا وشيبة. وفي حديث شريح: تجوز شهادة الصبيان على الكبار، يستشَبّون أي يستشهد من شبّ

منهم وكبر إذا بلغ... ويقال فعل ذلك في شببته، ولقيت فلانا في شباب النهار أي في أوله، وجئتك في شباب النهار، وبشباب النهار، عن اللحياني أي أوله⁽¹⁾.

إن في هذا التعريف لبسا كبيرا لأن العلماء اختلفوا في هذين المصطلحين "الفتاء" و"الحداثة"، فهذا القتيبي يقول: "ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث، إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال"⁽²⁾.

وهناك من يرى أن الحداثة هنا تعني الشباب في أول العمر⁽³⁾. الخ... وهناك من يجعل الشباب مفهوما مرادفا للمراهقة ويربط بدايته ببداية البلوغ، فقد ورد في التهذيب: "يقال تفتت الجارية إذا راهقت فحدّرت ومنعت من اللعب مع الصبيان"⁽⁴⁾.

و المراهقة أيضا من المفاهيم صعبة التحديد والتعريف؛ لأنها مرحلة من العمر صعب تحديدها، وذلك لتدخل عدة عوامل أخرى تتعلق بالمعايير والمرجعيات الأساسية التي تعتبر بمثابة الركائز التي لا مناص منها في تحديدها، وهذه العوامل هي اجتماعية، بيولوجية، نفسية، فيزيولوجية جغرافية، واقتصادية...

فقد ورد في لسان العرب: "المراهقة مصدر راهق، وراهق الغلام، فهو مراهق إذا قارب الاحتلام، والمراهق: الغلام الذي قارب الحلم، وجارية مراهقة. ويقال: جارية راهقة وغلام راهق، وذلك ابن العشر إلى إحدى عشرة"⁽⁵⁾.

وهذا التعريف بدوره غير دقيق لأن مرحلة بداية الاحتلام لا يمكن تحديدها بفترة زمنية مضبوطة، وذلك أن سن الاحتلام في الريف غير سن الاحتلام في المدينة، كما أن الظروف الجغرافية والطبيعية والاقتصادية تلعب بدورها دورا في تحديد سن الاحتلام.



كما أن الاحتلام عند البعض يرتبط بعوامل فيزيولوجية وبيولوجية ونفسية كظهور علامات الرجولة والأنوثة، وتغير ملامح الوجه، وازدياد الطول والميولات الشخصية التي تختلف بين الذكر والأنثى وأحيانا بين بني الجنس الواحد لتدخل عوامل مختلفة اجتماعية ونفسية وبيئية... تتخللها صعوبات وتخوفات وأحاسيس غريبة وحب التعلق بالجنس الآخر، ولهذا وصف بعض الباحثين مرحلة المراهقة بمرحلة الزواجر والعواطف النفسية⁽⁶⁾.

إذن فالبلوغ هو: "تغيرات وتقلبات فيزيولوجية عنيفة، تصحبها تغيرات ثانوية تطرأ على مختلف أعضاء الجسم وتبدو للمراهق في بادئ الأمر اضطرابا جسيما وخللا عضويا، حتى ليصاب بشبه هزة توجه انتباهه إلى جسمه وتزيد حساسيته بنفسه"⁽⁷⁾.

في الحقيقة لقد تضاربت الآراء حول تحديد مرحلة الشباب حتى أننا لا يمكننا إحصاءها أو الإحاطة بها كلها، غير أن المؤكد كما قلنا أنه من الصعب تحديد سن مضبوط تبدأ فيه، لكن المتفق عليه أنها تبدأ مع مرحلة البلوغ، كما لا يمكن تحديد نهايتها أيضا، وإذا كان البلوغ هو المعيار الذي تبدأ به مرحلة المراهقة والشباب ففي أي سن تبدأ مرحلة البلوغ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تكون نسبية أيضا، فهل هي سن العاشرة أو الحادية عشر، أو الثانية عشر أو الثالثة عشر أو الرابعة عشر أو الخامسة عشر⁽⁸⁾ أو أنها (المراهقة) لا توجد أصلا كما تقول الأنثروبولوجية الأمريكية "مرغريت ميد" (1928) عند بعض القبائل البدائية⁽⁹⁾، وفي أي سن تنتهي هل في سن الثامنة عشر أو الواحد والعشرين أو السابعة والعشرين أو في حدود الثلاثين أو في أي سن؟ فقد يكون الإنسان شابا وهو في سن الأربعين



إلى الخمسين، فقد ورد في PETIT LAROUSSE شاب: هو الشخص الذي لم يتقدّم في السن، نقول شابا وشابة الذي لا يزال يحمل ملامح الشباب. نستطيع أن نكون شابا في الأربعين⁽¹⁰⁾.

2- مشكلات الشباب والمراهقة:

يحصّر "مرشد ديور" مشكلات الشباب والمراهقة في العناصر الآتية:

- الجنوح. - الانحراف. - الغضب لأتفه الأسباب. - الكبت. - حبّ الزّعامه. - الهروب من المنزل. - التمرد على كلّ سلطة. - مشكلة اختيار الأصدقاء. - الشك. - الصراع الانفعالي، - مشكل صراع الأجيال⁽¹¹⁾، إلى جانب مختلف المشاكل الاجتماعية كالبطالة مثلا... وما الانحراف السلوكي إلا نتيجة لذلك لأنّ الانحراف ما هو إلا مظهر من مظاهر عدم التوافق في البيئة، وهذا الانحراف ما هو إلا استجابة سيكولوجية طبيعية لمختلف الظروف⁽¹²⁾.

إنّ الشباب فئة تنفرد عن بقية الفئات الأخرى ببعض الخصائص، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- الرغبة الأكيدة في التغيير. - الجرأة غير المحدودة. - اعتبار الشباب نفسه مركز الكون ومحور تخضع له كلّ محاور المركز. - الديناميكية والحيوية والنشاط. - القلق على المستقبل. - حب الاستقلالية والتّطلع لها. - حبّ الزعامه والبروز. - الإحساس بالمسؤولية وحبّ الاعتماد على الغير. - الإقبال بشغف على الجديد من الأفكار والقيم والتمرد على كلّ ما هو قديم⁽¹³⁾ ولأنّ مرحلة الشباب كما هو معروف يمثّل فيها الشباب أكبر فئات المجتمع حيوية وقدرة ونشاطا وإصرارا على



العمل والإبداع والعطاء، ولديهم الإحساس بالجديد والرغبة الأكيدة في التغيير⁽¹⁴⁾، -صراع الأجيال: ويدعى أيضا عند علماء الاجتماع فجوة الأجيال: فالشباب يرفضون أن يكون عليهم زعيم ويتطلعون دائما لأن يكونوا هم الزعماء كما أنهم كثيرا ما يتعصبون لأفكارهم وآرائهم وهذا ما يجعلهم يصطدمون مع أوليائهم فيما يُعرف بصراع الأجيال (فجوة الأجيال)، وهو من الناحية السوسيولوجية يفسر الهوة الموجودة بين جيلين لا ينتميان إلى نفس الفترة، مما يجعل صراع الأفكار يحتدم بين الجيلين، والنظرة إلى الواقع تختلف، وطريقة معالجة القضايا والمشاكل اليومية تتباين، ويعود السبب في ذلك بدرجة كبيرة إلى الخبرة التي اكتسبها الآباء وطرقهم في التعامل مع الواقع، بخلاف الشباب الذي يفتقر إلى الخبرة وشديد التسرع في معالجة القضايا والمشاكل.

3- صراع القيم وتناقضات الذات لدى الشباب الجزائري:

إنّ عالم الشباب عالم معقد، مليء بالمفارقات والتناقضات، عالم يجمع فيه الشباب بين القلق والاضطراب، الغضب بالحزن والألم، اليأس بالأمل والضياع بتأكيد الذات.

إنّ الشباب عامّة والشباب الجزائري خاصّة يعيش في ظلّ العولمة وإغراءاتها حيث صار العالم كلّ قرية واحدة صغيرة تجمع أكبر عدد من الناس بشّى أشكالهم وطوائفهم ومعتقداتهم ودياناتهم وثقافتهم وخصائصهم المختلفة والمتنوعة، وذلك بفضل التطوّرات المذهلة في وسائل الإعلام والاتصالات التي غزت المعمورة



وأوصلت مناطق العالم ببعضها البعض في وقت وجيز جدًا، وهذا ما جعل الثقافة تتعلم بدورها، فوسائل الإعلام خاصة المرئية منها (الهوائيات المقعّرة) جعلت الشباب العربي والجزائري خاصة يعيش في عالم الخيال والأوهام، ففي ظلّ المشاكل الاجتماعية، السياسية والاقتصادية والثقافية التي تعيشها الجزائر، يعيش الشباب بطلاة حادة وفراغا فكريا وثقافيا وقلقا وخوفا دائمين إلى جانب فقدانهم الأمل في مستقبل زاهر فلم يجدوا متنفسا وبديلا لهم عن أوضاعهم المزرية غير الهوائيات المقعّرة نافذتهم على مغريات الغرب، وتنعكس فعالية وسائل الإعلام الغربية على الشباب في الدول النامية ومنها الجزائر والدول العربية الأخرى في مدى تأثيرها على التقاليد والقيم المتوارثة من جيل إلى جيل، فالمواد الإعلامية المستوردة من الغرب كالأفلام التلفزيونية والأغاني والموسيقى، تنقل أنماط حياة جديدة وقيما وتقاليد غربية، هذه بدورها تنعكس في عادات وسلوكات شبابنا الناشئ⁽¹⁵⁾.

وهذا كلّ في ظلّ غياب بديل اجتماعي وسياسي وثقافي يأخذ على عاتقه هموم الشباب وتطلّعاتهم ومشاكلهم الاجتماعية، وغياب رعاية نفسية واجتماعية بديلة كفيلة بجلب الشباب وتوجيههم الوجهة الصحيحة والسليمة.

ولقد أدّى هذا الوضع بالشباب الجزائري خصوصا والعربي عموما إلى التآرجح بين الثقافتين العربية والغربية، خاصة وأنّ هذه الأخيرة بدأت تصله سيئاتها على الصعيد الاجتماعي النفسي، وما أفرزته في أوروبا بالذات من قلق وضياع⁽¹⁶⁾ "ضف إلى ذلك مشكل الفراغ الفكري والضياع وتأخر القيمة الدينية عند الشباب مقارنة بالقيم السياسية والقيم الاجتماعية والاقتصادية... ويعود ذلك إلى عدم الفهم الصحيح لماهية الدين ودوره الأساسي في حياتنا، وإلى المحاولات



المخططة والمركزة للتشكيك في الأمور الدينية علاوة على تقصير علماء الدين في تبليغ الدين المعتدل...⁽¹⁷⁾.

فالشباب في صراع نفسي كبير، فهم يتأثرون بالثقافة العربية الإسلامية بكل ما تحمل من قيم روحية وعادات وتقاليد وارتباط وجداني بالدين من جهة، وبالثقافة الغربية المشبعة بالمدينة والحالية من الروحانية من جهة أخرى، وهذا ما جعلهم يعيشون في تناقضات مع الذات، ويبرز ذلك في مختلف سلوكياتهم وقد يتطور هذا الصراع إلى صراع من نوع آخر، هو الصراع مع السلطة، ثم إلى الصدام معها، حيث إنّ ما يميّز حركات الشباب في العالم العربي هو أنها تكاد تجمع تقريبا رغم انتماءاتهم السياسية والحزبية المختلفة على نقد المجتمع ومظاهره المختلفة، فتهاجم فكر الجيل القديم وامتداداتها إلى العلاقات الاجتماعية الحالية، وتدعو للتخلص من القديم وتسليم الشباب مسؤولياتهم في بناء وتطوير المجتمع، والوصول إلى مقاليد الحكم من أجل التغيير... ومن هنا تتشكل الأزمة وتتعمد العلاقة بين الشباب والسلطة.

ثانياً: التغيرات العميقة لبنية المجتمع الجزائري:

إنّ مختلف الظروف التي عاشها المجتمع الجزائري منذ الاستقلال جعلته يعرف تغيرات عميقة مسّت كيانه وبنيته، فتعاقب الأنظمة السياسية على الحكم كان له أثر لا يستهان به في حركية المجتمع، وخلف أزمة متعدّدة الجوانب. حيث إنّ كلّ نظام تميّز بطابع خاصّ وفكر سياسي تحكمه إيديولوجية معيّنة تابعة لقطب معين، وهذا بطبيعة الحال جعل كلّ الأنساق الاجتماعية الأخرى تتبع تلك السياسات والإيديولوجيات ممّا جعل الميدان الاقتصادي -الذي يعدّ العمود

الفكري والمحرك الأساس لكلّ الأنساق الأخرى- بدوره يسلك إيديولوجية معينة، حيث يلاحظ خلل كبير في تفاعل وتناسق وتكامل وانسجام الأنساق الاجتماعية الأخرى، مما يجعل الوظيفة الأساسية للمجتمع تحتلّ هي الأخرى فتشكّل أزمة في المجتمع.

بعد الاستقلال مباشرة تبنت الجزائر النظام الاشتراكي الذي كانت ترى فيه المخرج الوحيد والأوحد للتركة الاستعمارية المثقلة بالمشاكل، حيث خلفت وراءها مجتمعا متخلفا في كلّ الميادين والجهات: الاقتصادية، السياسية التعليمية، التربوية، الثقافية الصحية، الدينية...

وبعد اعتلاء الراحل هواري بومدين سدة الحكم في 19 جوان 1965، تبنى النظام الاشتراكي، ودعا إلى سياسة اقتصادية شاملة قائمة على مركزية التسيير...⁽¹⁸⁾. وشرع في بناء المؤسسات الصحية والخدمات والمركبات الصناعية والاقتصادية الضخمة وتشيد المصانع العملاقة لإنجاح سياسة تصنيع كبيرة، تستغلّ فيها كلّ الطاقات والموارد الطبيعية والبشرية، وبناء المؤسسات التعليمية والتربوية والجامعات، وقام بتأميم المناجم سنة 1966، ثمّ اتبعها بتأميم البنوك سنة 1968، فالحروقات عام 1971، وكانت هذه الأخيرة بحقّ طفرة سياسية واقتصادية مهمّة، جعلت العائلات الجزائرية عن بكرة أبيها تترك المداشر والقرى والأرياف وتتجه إلى المدن الكبرى في عملية نزوح لم يشهد لها المجتمع الجزائري مثيلا في العصر الحديث. وهذا ما عبّر عنه الباحثان السوسيولوجيان "بيار بورديو" وعبد المالك سياد بالانسلاخ عن الجذور⁽¹⁹⁾ وهذا ما جعل العاصمة على وجه الخصوص والمدن الكبرى عموما تشهد بدورها حالة من الترفيف بسبب اصطحاب هؤلاء النازحين



إليها فيما تختلف عن القيم الحضرية وعادات وتقاليد وطبائع ريفية وبدوية أثرت في الشكل العام للكثير من البيوت والشوارع والأماكن الحضرية، وظهرت البيوت القصديرية والأحياء ذات الطابع الريفي، مما شكّل نوعاً من عدم التجانس والتنافر أو لنقل من التصادم بين القيم الحضرية والقيم الريفية، مما يُبرز أيضاً دينامية سوسيو وظيفية غير معهودة وانفجار لكل المعايير والقيم⁽²⁰⁾ ويظهر ذلك أيضاً وبشكل جلي في بعض السلوكات والممارسات التي تنبع عن النازحين، وسادت العصبية القبلية والدموية والعرقية وما يُعرف في الاستعمال الصحفي الحديث في الجزائر بالجهوية، حيث نلاحظ أنّ كلّ منطقة جغرافية سكنتها عائلات تربطها علاقات دموية (عائلية) أو قبلية أو جهوية (من منطقة جغرافية واحدة)، غير أنّ هذا لا يعني أنّه لا توجد أي روابط بين سكان العاصمة والمدن الجزائرية الأخرى الكبرى، وأهل الأرياف النازحين، فهم يجمعهم دين واحد ولغة واحدة في الغالب ومبادئ وقواعد وقيم وعادات وتقاليد عربية وإسلامية وأمازيغية تعتبر موروثاً ثقافياً للأمة الجزائرية بأسرها.

وهذا ما جعل السلطات الجزائرية حين ذلك تعتمد سياسة زراعية موازية سُميت الثورة الزراعية، وأقامت القرى الفلاحية متخذة شعار "الأرض لمن يخدمها" لاستقطاب اليد العاملة في الفلاحة والتنفيس على التصنيع والتقليل من النزوح الريفي، الذي شكّل عبئاً كبيراً على كاهل الدولة، حيث بدأت تظهر مشاكل جمة كنقص الهياكل الصحية والتربوية وأزمة سكنية خانقة... غير أنّ هذا لا ينفي أنّ تلك المرحلة (مرحلة منتصف السبعينيات ومنتصف الثمانينيات من القرن الماضي) تميّزت الحالة الاجتماعية فيها بالرخاء خاصة

بالنسبة لـ 65% من الشباب الذين لم يشهدوا الوضعية الاستعمارية⁽²¹⁾، وكان عموم الناس متقاربين في مستوى العيش، لا وجود لطبقية أو أغنياء غناء فاحشا وفقراء فقرا كبيرا، وذلك بسبب السياسة التي كانت مطبقة حينذاك حيث أنّ المنصب الذي كان من المفترض أن يشغله شخص كان يشغله عدّة أشخاص (بطالة مقنّعة ومخفية)، وفي أحيان كثيرة كانت المؤسسات - الإنتاجية والخدماتية - تعرف عجزا ماليا كبيرا والدولة هي التي كانت تغطي كلّ نفقاتها وأجور العمال على حساب الخزينة العمومية ممّا جعل الديون الجزائرية ترتفع في عام 1975 إلى 6.83 مليار دولار⁽²²⁾، وهكذا أخذت الديون ترتفع شيئا فشيئا وأخذ المجتمع الجزائري يتأقلم ويتعوّد على حالة البجوحة الاقتصادية إلى غاية وفاة الراحل هواري بومدين في 27 ديسمبر 1978، لتبخر معه الكثير من الأحلام الاقتصادية والسياسية بداية بالتطوّر الاقتصادي والاجتماعي إلى مصاف الدول المتقدمة، كما تبخر مشروع القرى الفلاحية والثورة الزراعية وعوضها الإسمنت المسلّح، حيث اكتسحت المباني الأراضي الزراعية وقضت عليها. وبهذا حدثت حركة سوسيو مهنية خارقة للعادة، حيث ظهر انفجار كلّ المعايير والقيم والانجذاب إلى نموذج، أو صورة ثقافية مقلقة عملت على إزاحة الصورة الثقافية الموروثة. وهذا في حدّ ذاته يعتبر نمودجا جيّا لتحولات المجتمع الجزائري⁽²³⁾.

إلى غاية هذه الفترة بقي الشباب الجزائري بعيدا عن الأحداث الوطنية والدولية، لكن باعتلاء الرئيس الشاذلي بن جديد سدّة الحكم في 07 فبراير 1979، عرفت الجزائر تفتّحاً على كلّ الأصعدة والجهات: السياسية الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والدينية...⁽²⁴⁾ ومن هنا بدأ عهد جديد مع الشباب، حيث



رفع شعار شبّية 2000 محاولا إخراجهم من التّفق وإعادة الاعتبار له بتقديم كلّ الدعم والإمكانات، غير أنّ ذلك تزامن وبداية تأزم سياسي واقتصادي بدأت معالمه وملاحمه تطفو على السطح ببرز صراعات إيديولوجية وسياسية كانت محطّتها الأولى الانفلات الأمني فيما يُعرف بالربيع الأمازيغي عام 1980 ثمّ في 19 ماي 1981 حيث اصطدم الشباب الجامعي في عدّة مناطق من الوطن مع رجال الأمن ورفعوا شعارات مناهضة للحقيرة والتهميش للطالب الجامعي خصوصا وللشباب عموما، كما شهدت بعض المناطق الغربية للبلاد عام 1982 مظاهرات واحتجاجات أخذت طابع العنف والعصيان المدني، قام بها تلاميذ ثانويون تعبيرا عن سخطهم واستيائهم وتدميرهم ورفضهم لصعوبة الامتحانات التي فرضت عليهم، وتبعته مظاهرات للثانويين عام 1986.

وفي المقابل شهدت الجزائر ظهور التيار الإسلامي والحركة الإسلامية المسلّحة بقيادة "مصطفى بويعلي" إلى العلن، وإعلانها الجهاد ضد السلطة، ممّا أدّى إلى مقتل العديد من أفراد الجماعة ومن عناصر الأمن والجيش الوطني الشعبي وسجن عدد كبير من أعضاء الجماعة...، ثمّ دخول الجزائر في مرحلة صعوبات اقتصادية وضائقة مالية بتفاقم المديونية الوطنية وزوال البجوحة الاقتصادية، حيث بلغت المديونية الخارجية في سنة 1987: 24.601 مليار دولار أمريكي، وبرز أزمة اقتصادية خانقة تبعته أزمة متعدّدة الجوانب أثّرت بشكل واضح على المجتمع الجزائري⁽²⁵⁾ ومن هنا بدأت الأحداث الوطنية تأخذ منعرجا خطيرا حيث أصبح المواطن يتهافت على أسواق الفلاح والمحلات وراء اقتناء حاجياته اليومية والمعيشية

في ظلّ ندرة خانقة لبعض المواد الأساسية، هدّدت أمنه الغذائي بشكل غير مسبوق في فترة الجزائر المستقلّة، مما جعله يعيش دائما في حالة قلق وتوتر وغلّيان وضغط اجتماعي تفاقم يوما بعد يوم، إلى أن وصلت الأزمة إلى قمّتها بالانفلات الأمني وأحداث 05 أكتوبر 1988 أو ما عُرف حينذاك بالثورة أو الانتفاضة الشبانية⁽²⁶⁾.

وأمام هذا الوضع المشحون بالعنف تُفتقد الأطر المرجعية للأسرة، ويزداد الوضع تأزما وتدهورا بالنسبة لها في ظلّ وضعيتها الاقتصادية والاجتماعية المهشوشة⁽²⁷⁾، وبالتالي تنهار الطبقة الوسطى شيئا فشيئا⁽²⁸⁾ ممّا يؤدي إلى عدم استقرار أوضاع البلاد.

وهذا ما يؤكّده عالم الاجتماع "دوركهايم" حيث يرى أن المجتمع قائم على أساس استقرار العلاقات الاجتماعية، التي تحقق التوازن الفردي لأعضاء الجماعة الاجتماعية، من خلال وجود بناء معياري ينظم السلوك على أساس اتفاق وقبول عام من طرف أفراد الجماعة فيكتسب الفرد عندها قيما أخلاقية تخول له البقاء وسط هذه الجماعة ويذوب (الفرد) أمام هذه القيم والمعايير إلى حدّ أن هذه الأخيرة تحدّد إلى حدّ ما أهدافه ورغبات...⁽²⁹⁾ لكن حين يتفكك البناء المعياري، وتضعف قوة الضبط كأسلوب لسيطرة الجماعة على الأفراد يتعرض سلوكهم إلى الاضطراب بسبب الفوضى العارمة داخل الجماعة فيجد الفرد نفسه أمام خيارات



عميقة، لأنّ فعالية المعايير والقيم التي تحملها الجماعة منهارة، وهذا سيؤثر لا محالة على الفرد وقد سمى " دوركايم " هذه المرحلة بالأنوميا، فهي "حالة قطيعة، ونقص اندماج، وسوء تسيير وتنظيم الأفراد"⁽³⁰⁾.

وأمام هذا الوضع المتوتر يعيش الفرد نوعا من الخوف، بحيث تتولد فيه أحاسيس بعدم الأمان والأمن، لأنّ الفرد قد افتقد ثقته في قدرة الوسائل البنائية على تحقيق تطلعاته ومطامحه الاجتماعية، فيصبح تائها وسط بناء معياري مفروض وغير مجدٍ نفعاً، ولتحتاشي النتائج غير المرغوبة يحدث نوع من الهروب من الذات⁽³¹⁾، لأنّ الفرد غير سوي ولا يمثل للقواعد المعيارية إذن فالسلوك الأنومي يظهر التناقضات الخفية للبنية الاجتماعية⁽³²⁾.

ويمكن أن نحصر نتائج هذه التغيرات العميقة لبنية المجتمع الجزائري والتي أدت إلى انفجار الأحداث في 05 أكتوبر 1988 في العناصر الآتية:

- *-النمو الديموغرافي والانفجار السكاني، حيث تشير الإحصائيات الأخيرة إلى أنّ عدد السكان في الجزائر تجاوز عتبة 34 مليون نسمة.
- *- بطالة حادة حيث يشير الديوان الوطني للإحصائيات أنّ نسبة البطالة قد بلغت سنة 1996 : 27.99%⁽³³⁾.
- *- التسرّب المدرسي، حيث طُرد من المدارس حوالي : 389.713 قبل السنة التاسعة و 164.267 من الثانوي في الفترة الممتدة من 1997-1999⁽³⁴⁾.
- *-تلاشي شيئا فشيئا الأسرة الممتدة وإحلال مكانها الأسرة النووية.
- *-تحرّر المرأة من الكثير من القيود والأعراف التقليدية المتوارثة.



*-ترك الاعتماد الكلي على ربّ العائلة في الرأسمال المالي (في التكفل المادي بالأسرة).

*- تدخل مؤسسات أخرى غير رسمية: كالشارع، ملاعب كرة القدم ومراكز الانترنت، والهوائيات المقعّرة، جماعة الرفاق، الجماعات المتعصّبة والمتطرّفة... في أداء وظيفة مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتربوية خاصّة الأسرة .

-انتشار مختلف الآفات الاجتماعية: كالعنف والإجرام، السرقة، الإدمان على الكحول والمخدرات والحبوب المهلوسة والمتاجرة بها، وانتقالها إلى المؤسسات التعليمية⁽³⁵⁾...

وخلاصة القول: إنّ هناك عوامل عديدة تُسهم في إحداث التغيّر الاجتماعي في أيّ مجتمع كان، يمكن أن نجمل أهمّها في العناصر الآتية:
-العامل السياسي-العامل الديني-العامل الثقافي-العامل البيئي-العامل السكاني-
العامل التقني والتكنولوجي- العامل الاستعماري...

ثالثاً: الشباب الجزائري في قلب أحداث 05 أكتوبر 1988:

لقد كان بطل هذه الأحداث دون منازع شباب جزائري انطلق من المتوسّطات والثانويات ليعمّ كلّ الشوارع في المدن الكبرى، في ثورة شبابية منقطعة النظير حطّمت كلّ القيود الضوابط، كما انظمّ إليهم شباب بطّال وانسجم معهم ليحطّموا كلّ ما يرمز للسلطة وللحزب الواحد من أسواق الفلاح والمؤسسات العمومية ومقرّات حزب جبهة التحرير الوطني... وكان الشباب الثائر في الشوارع تتراوح أعمارهم ما بين 12- 18 سنة، خاصّة شوارع ديدوش مراد، والعربي بن



مهيدي، باعتبارهما شارعان رئيسان تتواجد بهما محلات ومؤسسات تابعة للسلطة كانت هدف المتظاهرين للتدمير والتكسير من طرف المتظاهرين⁽³⁶⁾.

وبالرغم من النقاش والحوار والأطروحات المختلفة عن ملابسات وظروف هذه الثورة الشبابية (الشبانية) وعن فاعليها ومدبريها الحقيقيين، إلا أن الذي يهمنا في هذا المقال هو أن بطلها الرئيس كما أسلفنا هو شباب جزائري يعاني الفقر، البطالة والتهميش، والحقرة، اللامساواة، والتمييز...

وهذا ما أكدته أحمد بوخبزة حيث قال: "العنف الذي شهدته الجزائر في 5 و6 أكتوبر ما هو إلا تراكم الأشياء والسخط الذي لم تُتَح له إمكانية التغيير إلا بغتة..."⁽³⁷⁾.

إن كثرة انتظار هذه الفئة الاجتماعية الدنيا- أي شريحة الشباب- وتراكم المشاكل الاجتماعية الناتجة عن نقص أو انعدام تمويل المشاريع الاقتصادية من طرف الدولة وعجزها (الدولة) التام (بسبب الديون الخارجية المحسوبة على عاتقها) على الاعتناء بهم انجر عنه ارتفاع معدل البطالة وتمركز الشباب في المقاهي، وعلى أرصفة الطرقات والشوارع ومتكئين على الجدران حتى صاروا يعرفون لدى العام والخاص في الجزائر بمصطلح les hitistes لي حيطيست (نسبة إلى الحيط أو الحائط، وهي كلمة مزجية بين كلمة عربية دارجة "حيط"، واللاحقة الفرنسية "istes")^{*}، و"الشبيبة الضائعة"، LA JEUNESSE PERDUE⁽³⁸⁾ حيث فقدوا الأمل في الوجود والمستقبل واحتضنهم الشارع بكل ما يحمل من سلوكات منحرفة ومفارقات وجماعات أو رفاق السوء وتجار المخدرات والمهدئات والحبوب المهلوسة والخمر والقائمة طويلة... وهكذا صاروا مثل القبيلة الموقوتة تنتظر

الانفجار، وعرضة لكل الهزات ومطلبا ثمينا لسماسرة الموت فكانت رغبة العديد منهم أكيدة في الأعمال العنيفة، انتقاما من ظروفهم الاجتماعية من جهة، وسخطا وانتقاما من أصحاب القرار من جهة أخرى.

وهكذا كانت أحداث أكتوبر 1988 محطة مهمة ومواتية أفرغ من خلالها الشباب شحناته الداخلية، ومنعرجا حاسما في تاريخ الجزائر الحديث انتقلت فيه شعبا وأمة انتقالة تشكل طفرة لم يكن يتوقعها المواطن الجزائري البسيط ولا حتى المثقفين منهم من مرحلة الأمن إلى مرحلة اللا أمن، تبعها تفتح اقتصادي، سياسي، ثقافي وإعلامي واسع النطاق، متبينة نظام التعددية الحزبية وحرية التعبير والديمقراطية كحل للأزمة.

رابعا: آثار اختلال وظيفة مؤسسات التنشئة الاجتماعية على الشباب الجزائري: إن التنشئة الاجتماعية هي عملية قائمة على التفاعل الاجتماعي، التي يكتسب فيها الطفل أساليب السلوك والقيم المتعارف عليها ومعاييرها في جماعته، بحيث يستطيع أن يعيش فيها ويتعامل مع أعضائها بقدر مناسب من التناسق والنجاح، وبالتالي فهي تهدف إلى غرس أخلاق وتعاليم دينية، وآداب عامة، وقيم وعادات وتقاليد ومهارات وخبرات علمية وظيفتها تكوين شخصية إنسانية سوّية انطلاقا من تكوين ذات الطفل منذ صغره، كما تعمل على إكساب الطفل جملة من المعايير الأخلاقية والاجتماعية التي تجعله قادرا على الانسجام مع أفراد المجتمع ومتأقلا مع نسق العلاقات الاجتماعية الموجودة في المجتمع، كما تعطيه الآليات الأساسية التي من خلالها يمكنه أن يدرك دوره في المجتمع وكذا بقية الأدوار التي يقوم بها الآخرون، وهي أيضا تعمل على تكوينه الصحي والنفسي حتى يكون آمنا



مطمئنا متوازننا نفسيا وعقليا وجسديا حتى يكون هو بدوره مصدر أمن لنظرائه من الأطفال والشباب وأفراد المجتمع عامة، وقادرا على الانسجام في أي محيط اجتماعي كان دون عناء أو مشقة، بحيث يكون إيجابيا في تفاعله مع أي وسط يتواجد فيه، وهكذا يكون له سلوك سوي ومعتدل وفاعل، متشبع بروح المسؤولية والوطنية والإنسانية وبمكارم الأخلاق، وينبذ السلوكات المنحرفة مهما كان نوعها، كما تجعله قادرا على استيعاب الضبط الاجتماعي وتبني مقوماته الأساسية الرسمية: مختلف القوانين المنظمة للمجتمع، والامثال للهيئات المسؤولة على تنفيذها، وغير الرسمية: الدين، العادات، التقاليد والأعراف.

وعلى هذا الأساس فإنّ التنشئة الاجتماعية عملية متواصلة تستمر مع الفرد منذ ولادته حتى يصير شيخا، أي منذ تواجده داخل الأسرة وهو صغير إلى دخوله المدرسة وتردده على المساجد واتصاله بجماعة الرفاق، حتى يكتسب شخصية تؤهله لأداء واجبه الفردي، فالأسري، فالاجتماعي فالإنساني.

وعلى هذا الأساس فإنّ للتنشئة الاجتماعية وظيفة أساسية وجوهرية في تكوين جيل ومجتمع مستقر ومستمر وآمن: سياسيا، اقتصاديا، دينيا، اجتماعيا تربويا... أما المؤسسات الأساسية التي تضطلع بمهام هذه التنشئة فهي: الأسرة، المدرسة، والمسجد جماعة الرفاق، وسائل الإعلام (التلفزيون، الإذاعة والصحف)، الكتب، المجلات، دور الشباب والجمعيات الشبابية، والكشافة الإسلامية...

أما إذا حدث خلل في التنشئة الاجتماعية أو فشلت مؤسساتها عن أداء دورها وتوافرت شروط الانحراف الاجتماعي والبيئة المناسبة (مختلف الظروف: السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الدينية...) فهنا تحدث الأزمة، ثم تتفاقم لتنفجر



الأحداث ويظهر السلوك المنحرف لدى الشباب ويتطوّر إلى التطرّف ثم إلى الإرهاب.

خامسا: واقع المساجد في خضم الأزمة التي طالت المجتمع الجزائري:

بما أنّ المسجد جزء لا يتجزأ من النّسق الاجتماعي العام (المجتمع) بمؤسساته المختلفة كالأسرة والمدرسة، والشارع...، فإنّ الأزمة التي مسّت (النسق العام) طالته (المسجد) أيضا ومستّه في عمقه خاصّة خلال العقدين الأخيرين من الزمن، فأصبح هو في أزمة فشكّل بدوره للدولة أزمة، أفقدته وظيفته الأساسية في التنشئة الاجتماعية، حيث صار مركزا للصراع -وفي ظلّ غياب مرجعية دينية متفق عليها في الجزائر وتهاطل الفتاوى من الداخل والخارج (ما يسمّى بالفتاوى المستوردة) عبر الأشرطة والكتيّبات والقنوات الفضائية والإنترنت التي تدعو إلى مذاهب غريبة عن مجتمعنا، فغابت الحقيقة الدينية أو لنقل الدّين الإسلامي الصحيح والمعتدل عن عقول شبابنا الذين استهوتهم الخطابات التحريضية والمتطرّفة، والخطابات التي تعالج قضايا هامشية وسطحية... والخطابات التي تثير الخلافات المذهبية والفتن كتصنيف النّاس إلى تيارات وحركات وتوجّهات مذهبية تثير الشقاق والفتن بين الأمّة عامّة والشباب على وجه الخصوص، باعتبار نسبة الشباب أعلى نسبة في المجتمع وباعتبار أيضا الكبار كانوا أكثر محافظة على القيم الدينية الموروثة (التيار المحافظ) بخلاف الشباب (التيار المجدّد)- الذي كما قلنا سابقا- يقبل على كلّ ما هو جديد، معتبرا إياه التّمودج الأمثل والأكمل والصّحيح.

ضف إلى ذلك أصبحت الكثير من المساجد فضاءات اجتماعية مفتوحة على كلّ التيارات الإسلامية والمذاهب، سيطر عليها شباب جدد، كلّ يريد فرض



مذهب جديد بل وغالبا ما كان يسيطر عليها جهلة لا يعرفون عن الإسلام إلا بعض الأمور البسيطة بعيدين كل البعد عن الفقه الصحيح. لقد مورس على الشباب نوع من الإرهاب الديني والثقافي... فحوّلوه (إعادة إنتاجه بالمفهوم السوسيولوجي⁽³⁹⁾) إلى سلوكات معادية لكل شيء، مما أوقع العديد من شبابنا في مزلق خطيرة كانت نتائجها وخيمة على المجتمع عامة والشباب خاصة بسبب جهلهم بفقه الإسلام وشروطه ومقاصده على الخصوص فكانت النتيجة انتماء الآلاف منهم إلى الحركات المسلّحة.

سادسا: الشباب الجزائري والعنف:

منذ توقيف المسار الانتخابي في جانفي عام 1992، تدهور الوضع الأمني وتصاعد العنف والإرهاب في المجتمع الجزائري، وكان هذا التاريخ موعد الانطلاق الرسمي للعنف في الجزائر⁽⁴⁰⁾، حيث لم تشهد بعد ذلك الجزائر يوما، لم يتخلّله اغتيال أو تفجير أو خطف أو تهريب، فلمدة تقارب سبع سنوات وصلت درجة الخوف والبشاعة إلى قمّتها والأزمة الشاملة التي اهتزّت لها البلاد بلغت حدّا لا يطاق⁽⁴¹⁾ فقد "كان أزيز الرصاص بطل المرحلة وحمامات الدم تتطاير من خطوط الالتماس والمواجهة، والتي أدّت وبعد سبع سنين من الاضطراب والعنف الدموي المتبادل إلى أزيد من مئة وخمسين ألف قتيل ومليون ضحية تراوحت بين: مشرد، ومعاق، ومفقود ويّتم وثكلى، خسارة مادية قدرت بـ 3 مليارات دولار"⁽⁴²⁾.

فقد خلّفت هذه العشرية مئات الآلاف من الثكلى واليتامى والأرامل والمعطوبين والأمراض النفسية الخ... الإرهابية من قتل وتخريب للمؤسسات العامة والخاصة ونهش للقبور والبلد شبه ممزّق صار الأخ يقتل أخاه وأباه وجاره،



بلا شفقة وبلا رحمة، والقائمة مفتوحة. "وهو ما حدث بالفعل في الجزائر التي عرفت موجة عنف شديدة غير مسبقة، خاصة منتصف التسعينيات من القرن الماضي، حيث اتخذت الاعتداءات أشكالاً متنوعة ضدّ المدنيين بدون تمييز للسن، أو الجنس، أو الوضع الاجتماعي، أو الانتماء المهني، كان هدفه إشاعة الفوضى والذعر في المجتمع، وإظهار السلطة الرسمية بمظهر الضعف"⁽⁴³⁾.

فالجرائم كانت بالجملة، بعد اثنين وثلاثين سنة من استقلالها، الجزائر اليوم تشهد تخريباً من طرف موجة من العنف المرعب الوحشي والهمجي، راح ضحيته العديد من المثقفين والجامعيين والفنانين والصحفيين والأطباء... دون أن ننسى الاعتداءات الجنسية والقتل على النساء والأجانب والقائمة تبقى مفتوحة⁽⁴⁴⁾.

ويطلق على ما حدث بالجزائر في العشرية الأخيرة لدى الكثير من المحللين السياسيين والاجتماعيين التراجيديا أو المأساة الوطنية أو العشرية السوداء أو عشرية الرعب الدموي، وذهب البعض إلى اعتبارها حرباً أهلية لهول ما حدث فيها من مجازر جماعية وقتل عشوائي بالجملة إذ كان قتل وذبح الأبرياء العزل من الرضع والساجدين الركع والأطفال والشيوخ، والشباب من كلّ الأعمار سيّد الأحداث، إنّه القتل رهيب والمجازر الجماعية هنا وهناك في المناطق المعزولة وغير المعزولة، والسيارات الملقومة في المدن، وتخريب وتدمير للمنشآت والجسور والمدارس والمساجد، وكلّ المرافق الحيوية... إنها أجواء الحرب بكل ما تحمل الكلمة من فضاة.



سابعاً: الشباب الجزائري في عهد جديد مع السلم والمصالحة الوطنية؛ أفق جديد

وتطلّع إلى المستقبل:

وبمجيء الرئيس "عبد العزيز بوتفليقة" تنفّس الجزائريون الصعداء، وبرز في الأفق السلم والأمن والاستقرار، وعاد الأمل الضائع من جديد في أوساط كلّ الجزائريين وخاصّة الشباب وذلك باتخاذهم عدّة إجراءات سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية حاسمة كان أولها عام 1999 عندما شرع في إعفاء الشباب الذي تجاوز سن الخدمة الوطنية عن أدائها، ثمّ مشروع ميثاق السلم والوئام المدني، فالمصالحة الوطنية ثمّ العفو الشامل، ومشروع الإنعاش الاقتصادي والاجتماعي الضخم الذي وظّف له أموال باهظة تقدّر بمئات الملايير من الدولارات للنهوض بالاقتصاد الوطني، خاصّة في ظلّ البجوحة المالية التي وصل فيها احتياطي الصرف الجزائري الصرف بالعملة الصّعبة إلى 61 مليار دولار أمريكي في نهاية مارس 2006، وأشارت مذكرة أصدرها مجلس القرض والنّقد برئاسة محافظ بنك الجزائر أنّ المعطيات المتوفرة تدعو إلى التفاؤل الكبير بمستقبل الجزائر المالي والاقتصادي حيث دعت هذه المعطيات الاستقرار الاقتصادي من حيث المؤشرات الكلية التي تشير إلى أنّ نمو الناتج المحلي الخام قدّر بـ 5.1 % عام 2005⁽⁴⁴⁾. ليرتفع إلى أكثر من 140 مليار دولار جراء ارتفاع عائدات النفط (الذي وصل سعر البرميل فيه إلى 140 دولار للبرميل وليستقر في حدود 70 دولاراً لمدة تعدّت الستين)، فقد أشار رئيس الجمهورية إلى انخفاض قياسي للمديونية الخارجية الجزائرية لتصل إلى 486 مليون دولار نهاية شهر نوفمبر 2009 بعدما بلغت عام 1999 حدود 34 مليار دولار⁽⁴⁵⁾.

كما عمل بقوة على استرجاع الجزائر لمكانتها القارية والدولية، وبالفعل صارت الجزائر منبرا سياسيا واقتصاديا يستقطب المتعاملين ورجال السياسة من كل الدول والقارات،... بهذا كانت النتائج لا يستهان بها في مجالات مختلفة جاءت بالتّفع على المجتمع الجزائري وفئة الشباب على الخصوص، حيث فُتحت له أبواب كثيرة وأعطيت له فرص عديدة في المشاركة السياسية والمشاريع الاستثمارية، وخلقت له فرصا لتحقيق وجوده كإنسان طبيعي له الحق في الحياة وبناء أسرة، وتكوين مستقبل زاهر...

كما ترك العديد من الشباب الجبال والإرهاب وعادوا إلى أحضان المجتمع باستفادتهم من تدابير العفو الشامل.

وبالرغم من التحسّن الأمني الكبير والاقتصادي والاجتماعي الواضحين... إلا أنّ هناك فئة من الشباب تتطلّع إلى الهجرة إلى الخارج، أو لنقل بالتعبير الشبابي الحالي الحراقة أو الحرقّة (الهجرة السرية في قوارب الموت)، أملين في حياة أفضل في بلاد الغرب وأوروبا خاصّة.

إنّ الحراقة أو الهجرة غير الشرعية تمثّل إحدى تناقضات الفجوة الحضارية بين ضفّتي البحر الأبيض المتوسط: عالم أوروبي متطور ونام، وعالم إفريقي متخلف تمزّقه الحروب الأهلية والمجاعات والانقلابات العسكرية⁽⁴⁶⁾... وهي (الحراقة)



ليست خاصة بالشباب الجزائري فحسب بل صارت مودة عالمية يقبل عليها غالبية الشباب الفقراء وأقلية من الأغنياء.

إنّ الحراقة (الهجرة غير الشرعية أو غير المشروعة) لم تعد ظاهرة أو قضية محلية تخصّ الشعوب الإفريقية فحسب، بل أضحت قضية عالمية تعدّ إحدى مظاهر أو نتائج العولمة.

ولكن عدم قدرة غالبيتهم على الهجرة جعلهم يعيشون في أحلام وأوهام- اغتراب روحي: جسد في الجزائر روح بأوروبا-، وهذا ما يجعلهم يسلكون سلوكات اجتماعية غريبة ويتمردون على كلّ سلطة سواء سلطة الأسرة أم سلطة الدولة أم... وما الانحراف السلوكي إلّا مظهر من مظاهر عدم التوافق في البيئة، وهذا الانحراف ما هو إلّا استجابة سيكولوجية طبيعية لمختلف الظروف، وهذا ما جعل بدوره آلاف الشباب يرمون في أحضان الجماعات الإسلامية المسلّحة ويتبنون أفكارا متطرّفة فيحتضنهم الإرهاب.

ثامنا: عودة مؤسسات التنشئة الاجتماعية إلى أداء وظيفتها التربوية للشباب:

إنّ الأزمة المتعدّدة الجوانب التي عاشها المجتمع الجزائري خلال عقدين من الزمن أثّرت سلبا على مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة-التي تقوم بعدة وظائف في المجتمع أهمها: التنشئة الاجتماعية، التنشئة الاقتصادية التنشئة السياسية، التنشئة الثقافية...-، خصوصا الأسرة، المدرسة، المسجد المجتمع وسائل الإعلام، ودور الثقافة والشباب، والجمعيات الشبابية... بسبب انهماكها في دوامة من المشاكل، ولعلّ على رأسها الإرهاب، حيث تُركت الساحة الوطنية لبعض المتطفّلين



ليعبثوا بعقول الشباب ومستقبلهم، وكانت النتيجة انخراط الآلاف منهم في صفوف الجماعات الإرهابية كرها أو طوعا كما أسلفنا الذكر. وبعد عودة الأمن والاستقرار جراء تطبيق ميثاق السلم والمصالحة الوطنية والعفو الشامل، عادت تلك المؤسسات من جديد إلى أداء وظائفها وأدوارها المعهودة، ومنها المسجد.

أ-المسجد كنموذج لمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

إنّ الدارس للمجتمع الجزائري عبر عصوره المختلفة يدرك دون أدنى عناء الارتباط الوثيق للمجتمع الجزائري بالمسجد، حيث يعمل الأولياء على تربية أبنائهم منذ الصغر على التردد على المساجد، للصلاة، وحفظ القرآن ودراسة تعاليم الشريعة الإسلامية، ولا يخفى على أحد أنّ الدولة الجزائرية والمجتمع عامة بذلا مجهودات معتبرة لبناء وتدعيم المساجد والمحافظة عليها حتى تقوم بأداء دورها الكبير في التنشئة الاجتماعية وجذب الشباب نحوها للابتعاد عن الممارسات السيئة الموجودة في الشارع وفي أماكن اللهو الأخرى التي يمكن أن تشكل خطرا على تربية أبنائهم، كما تعمل على تربيتهم تربية صالحة مشبعة بتعاليم الإسلام السمحة، وتوجيههم نحو تغيير المجتمع المؤسس على الفضيلة والرفق وتربية الأجيال ونبذ العنف والتطرف.

وبناءً على التجربة السابقة التي عاشتها مساجدنا واستخلاصا للعبير وتفاديا للوقوع في الأخطاء الماضية، والزج بالمساجد والشباب فيما لا يُحمد عقباه تبنت السلطة الجزائرية -ممثلة في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف- عدّة قرارات وتدابير من شأنها أن تنأ بالمساجد عن الفوضى، وذلك بتكوين أئمة ذوي مستويات



عالية (جامعية)، وتكوين مرشحات دينيات، وتفعيل دور مفتشيات الشؤون الدينية، وإعداد فترات رسكلة للأئمة، وضبط الخطب المنبرية والدروس وتوجيهها وجهة صحيحة وفق المذهب السائد في الجزائر حتى تتفادى مختلف الخلافات التي يعاني منها أئمة المساجد عبر التراب الوطني بسبب تباين تياراتهم الدينية، وتبقى الحاجة إلى إحداث منصب مفتي الجمهورية ضرورة ملحة للقضاء على الفتاوى المستوردة وغلق باب الفتوى العشوائية التي تصدر عما يسمى بالأئمة أو المفتين الجدد، خاصة فيما يتعلق بالنوازل والقضايا المصيرية للأمة.

الخاتمة:

ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة يمكن استخلاص ما يلي:

- إن الشباب وليد بيئته، وبالتالي فكل خلل أو تغيير تشهده بيئته أو يشهده مجتمعه، سينتقل مباشرة ودون سابق إنذار إليه، وربما يكون فاعلا أساسيا في هذا الخلل أو التغيير سلبا أو إيجابا.

- إن التجربة التي مرّت بها الجزائر منذ استقلالها إلى يومنا هذا، أثبتت أن الشباب سلاح ذو حدين، فقد يستثمر في بناء مجتمع عصري مزدهر ومتطور إذا ما استغلّ أحسن استغلال، ووفرت له كلّ الظروف: السياسية، الاجتماعية النفسية، الاقتصادية، الدينية، الثقافية، الأمنية... كما قد يكون سلاحا ضارا وفتاكا بمجتمعه وبلده إذا لم يستثمر ويستغلّ أحسن استغلال، خاصة إذا فشلت مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة في أداء وظيفتها المعهودة في تكوين الفرد أو الشاب تكوينا يجعل منه رجل المستقبل الذي سيبنى بلده بنفسه.



- إنّ الشباب الجزائري كغيره من الشباب العربي والإسلامي والغربي، لا يمكنه بأيّ حالٍ من الأحوال أن يعيش بمعزل عما يجري في العالم من حوله في ظلّ عولمة لا ترحم الضّعفاء والخاملين، وبالتالي فهو عرضة لكلّ التيارات والإيديولوجيات والمذاهب والإغراءات التي تفرزها العولمة وهي (الإغراءات) محيطة به في كلّ مكان، خاصّة في خضم الانتشار المذهل لوسائل الإعلام العصرية وبالذات الفضائيات والانترنت، وعليه لا بُدّ من إيجاد بديل اجتماعي (بأبعاده المختلفة: السياسية، الثقافية، الدينية، الاقتصادية، الحضارية) يكون حصناً متيناً له، يجنبه التيهان أو الارتواء في إفرازات تلك العولمة، أو على الأقلّ التقليل من ضررها، وهنا يجب التركيز على دور الدولة بمؤسساتها المختلفة والمجتمع ككل في الضبط الاجتماعي، وفي ملئ فراغ الشباب وتوفير ظروف الحياة الكريمة لهم، ومحاربة كلّ أسباب الانحراف الاجتماعي، وذلك بتفعيل ومراقبة دور الأسرة، المدرسة والمسجد-خاصّة- وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى وتقديم لها كلّ الإمكانيات والمساعدات لجلب الشباب إليها حتّى لا يُقبل على الممارسات المنحرفة.

- إنّ للدولة وللمجتمع بمؤسساته المختلفة السالفة الذكر، المسؤولية الكاملة في نجاح أو عدم نجاح عملية تكوين شباب صالح لمجتمعه وبلده، معتدل، آمن وخلاق.

الهوامش

1 - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأوّل، دار بيروت للطباعة والنشر (د.ت.ط)، ص. 480

2 - المرجع نفسه، المجلد الخامس عشر، ص. 146

3 - ابن منظور، المرجع السابق، المجلد الثاني، ص. 132.



- 4 - المرجع نفسه، المجلد الخامس عشر، ص 147.
- 5 - ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1956، ص 130.
- 6 - سالم مرزوق الطحيح، الشباب في الكويت (الدراسة الثالثة، الشباب والتوافق مع الذات) الديوان الأميري، قصر السيف، فبراير 1985، ص 35-36.
- 7 - محمد يحي زكريا، علاقة القلق بالتحصيل الدراسي لدى المراهق الجزائري "15-18 سنة" رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمّقة في علم نفس الطفل والمراهق، معهد العلوم الاجتماعية دائرة علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر 1983، ص 16.
- 8 - عبد الله محمد بوجلال، الإعلام والوعي الاجتماعي لدى الشباب الجزائري، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، جانفي 1989، ص 13.
- 9 - محمد يحي زكريا، المرجع نفسه، ص 14.
- 1-Dictionnaire encyclopédique pour tous, Petit Larousse en couleurs Paris 1980, p508.
- 10 - ديور مرشد، مشكلات المراهقة، التربية، مجلة تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد التاسع والأربعون (49)، نوفمبر 1981، ص 84-85.
- 11 - المرجع نفسه، ص 84.
- 12 - مرشد ديور، المرجع السابق، الصفحة نفسها.
- 13 - محمد علي محمد، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1985، ص 16.
- 14 - منير ناصر، الترفيه في وسائل الإعلام ودوره في شغل الفراغ لدى الشباب، دور الإعلام في توجيه الشباب أبحاث الندوة العلمية الخامسة، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض 1987، ص 26-27.
- 15 - عبد الله محمد بوجلال، المرجع السابق، ص 80.
- 16 - هاني عبد الرحمن، الشباب الأزمة والعلاج، عرض وتحليل عيسى جراجرة الضمور، مجلة التربية، العدد 09، ص 91.
- 17- الدليل الاقتصادي والاجتماعي للجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 1992، ص 129.
- 18-Pierre Bourdieu et Abd El Malek Sayad , Le déracinement ou la crise de l' agriculture traditionnelle en Algérie, éd de Minuit Paris 1964 p45
- 19 - M'hamad Boukhobza, Octobre 1988 "révolution ou rupture ? éd Bouchene, Alger 1991, p 2



- 20- Ben Jamin Stora , L'Algérie en 1995 "la guerre , l'histoire , la politique", éd Michalon, Paris 1996, p74 .
- 21- Massiah Gustave , La dette algérienne et l'ordre mondial Confluence méditerranéenne (comprendre L' Algérie), Revue trimestrielle N ° 11 été 1994, éd L' Harmattan , Paris , p31.
- 22- Massiah Gustave , op.cit, p117.
- 23 - علي غربي، معالم اقتصادية بارزة في التنمية المفقودة بالجزائر، مقارنة سوسيولوجية للمجتمع الجزائري، التواصل، مجلّة العلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 6، جامعة عنابة، الجزائر جوان 2000، ص111.
- 24- الدليل الاقتصادي والاجتماعي، المرجع السابق، ص 158.
- 25 - رضا دغبار، لغة الشباب بالجزائر العاصمة، حي باب الوادي نموذجاً-تناول سوسيو لساني-، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، تخصص دراسات لسانية تطبيقية فرع علم اللغة الاجتماعي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 1999/1998 ص143.
- 26 - عبد الناصر جاني و علي الكتر ، "الجزائر في البحث عن كتلة اجتماعية جديدة". الدليل الاقتصادي والاجتماعي للجزائر. المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار 1992، ص 271.
- 27 - إدريس بولكعيات، تجربة الجزائر في التنمية، قراءة في الانتقال من نموذج مضاد، مجلّة العلوم الإنسانية عدد 14 ديسمبر 2000، جامعة منتوري، دار الهدى، قسنطينة الجزائر، ص 82.
- 28 - F. Bourricquod et R. Bondons , Anomie , Dictionnaire critique de la sociologie , éd P. U. F Paris 1982, p20-24 .
- 29 - Roger Dufour Gompers, Dictionnaire de la violence et du crime éd ERSS, Toulouse 1992, p 201
- 30- Emile Durkeim , Le suicide, Etude de sociologie, éd P. U. F .Paris 1991 p45
- 31 - Jean – Michel Bessette, Sociologie du crime, éd P. U. F, Paris 1982, p61 .
- 32 – Quelques statistiques et indicateurs sociaux ,Office national des statistiques, Decembre 1997.
- 33- Amir Soltane, Scolarisation obligatoire, L' Authentique 24/04/2000, p06
- * - لمزيد من المعلومات والتوضيحات، انظر: رضا دغبار، المرجع السابق، ص 107-207.
- 34-نورة حشاني، "المخدرات في ظلّ التشريع الجزائري ودور قطاع العدالة في محاربة هذه الآفة " المرجع السابق "المخدرات في ظلّ التشريع الجزائري ودور قطاع العدالة في محاربة هذه الآفة " نشرة القضاة، مجلة قانونية تصدرها وزارة العدل (مديرية البحث)، طبع الديوان الوطني للأشغال التربوية، العدد 55، الجزائر 1999، ص 60.



35- Houcine Ben Kheira , Un désir d' absolu les émeutes d'octobre 88 en Algérie, L' Algérie vers l'état islamique, Peuples méditerranéens, juillet – décembre 1990, N 52- 53, p 16 . 36- M' hamad Boukhobza, op.cit, p 45

* - لقد قمت بدراسة مستفيضة للألفاظ التي يستخدمها الشباب وصفتها وفق وقولها الدلالية ولمزيد من المعلومات عُذ: رضا دغبار، المرجع السابق، ص. 117

37 - في المقابل كانت تُطلق الصحافة حينذاك على أبناء المسؤولين السامين في الدولة مصطلح - الشببية الذهبية (la jeunesse dorée) المفضلة والمميّزة والمُدلّلة، انظر: Leila Tounsi Aspects des parlers jeunes en Algérie, Langue française, les mots des jeunes, observations et hypothèses, Larousse, Paris juin 1997, p110

38- Pierre Bourdieu et Jean - Claude Passeron., La reproduction (élément pour une théorie du système d'enseignement), éd Minuit, Paris 1970, p 40

39- Abderrahim LAMCHICHI, L' Indispensable retour au dialogue en Algérie, Revue trimestrielle N 11 été 1994 , publiée avec le concours du démocratique .Confluences Méditerranée , comprendre L' Algérie centre national du livre .Editions L' Harmattan, Paris, p87 .

40- Samy HADAD, Algérie, autopsie d'une crise, Editons Harmattan Paris 1998, p 9

41 - حسن الموسوي (البحرين)، مسيرة حشاني مع الونام، [www. islamonline . net](http://www.islamonline.net) يوم 2006./09/16

42 - عدلي علي أبو طاحون، سوسيولوجيا التطرف الديني "جذور ومظاهر التطرف الديني بين أتباع الديانات السماوية مع دراسة للواقع المصري"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية مصر 1999، ص 420.

43- Abd errahim LAMCHICHI, op.cit, p 87 .

1 - نشرة أخبار الثامنة، التلفزيون الجزائري .. يوم السبت: 2006/04/08.

الـدين الخـارجي أربع مـرات في سـنة أشهـر!؟ 44 - تضاعف

<http://www.djazairnews.info/affaire/41-2009-03-26-18-30-29/12109-2010-03-27-21-18-12.html>.

45 - ناصر حامد، إشكاليات الهجرة إلى الاتحاد الأوروبي، السياسة الدولية، مجلة دورية علمية محكمة، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، العدد 159، السنة الحادية والأربعون، يناير 2005، ص 188.

46 - ديور مرشد، المرجع السابق، ص 84.